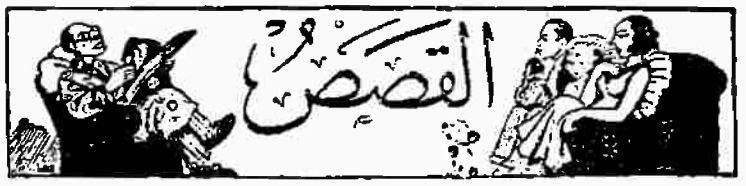

الملازم ألبير

للأستاذ محمد محمد مصطفى

كان يحمل أملاً بساماً بين جنبيه ، وبشراً طافحاً فى عطفيه وهو ينهب الطريق إلى قريته . لا يحس مسغبة وبطنه طاو ، ولا يشعر بظمأ وحلقه جاف . وبدا الطريق كئيباً موحشاً وسوق القرية خالية وعهده بها غاصة بالوافدين . . . لشد ما غيرت الحرب معالم الطريق فلا ظل وارف ولا طير غرد . وهذه الحفر من فعل الطائرات ، وتلك الغابة أحرقها الألمان فامتد لهيبها إلى الحقول وأهلك ما فيها من زرع وضرع

ورأى قسيس قريته مقبلاً عليه تخيل للفتى أن فاجعة ألمت به فهو يمشى وئيد الخطى أغبر الوجه ، كأنما يحمل على كاهله وقر السنين . ونراه يدنو من الفتى فيعرفه ويسلم عليه ويسأله :

— أحقاً يا بنى سقطت بروكسل وألقيتم السلاح ؟

فسقطت دمعة كبيرة من عين الفتى وقال :

— كان ذلك حقاً يا أبتاه . . . وإلا فكيف ترانى هنا . . . أمرنا الملك بإلقائه فأطعنا وما كان لنا أن نختار وآلات الألمان تفتك بنا فتك الوباء

— ليغفر الله لليوبولد زلته . . . وإلى أين يا بنى ؟

— إلى أمى وخطيبتى يا أبتاه . إلى قريتى الحبيبة (فورنتيه)

— خير لك يا بنى أن تعود . فقد مسحت القرية من خريطة الوجود

— ماذا . . . !

— أقول إن الجيش الألمانى لم يترك حتى ما يدل عليها

— وأمى يا أبتاه !

فربت القسيس على كتف الفتى ، فكاد يسقط لفرط ما دهاه ، وقال له :

— يا لها من ليلة هائلة يا بنى . تعال ، اجلس هنا على حافة الطريق ، فقد هدنى من يومها الهم وتضافرت على جسمى الأمراض . . . وسكت قليلاً كأنما يستعيد ماضياً بعيداً ثم أردف :

« إن أهم ما يتضمنه برنامج التربية الوطنية إقامة المعاهد الثقافية الكبيرة فى أنقرة ، لأننا نريد أن نجعل من هذه المدينة مركزاً للأناضول بما فيها من كليات ودور الأوبرا ومسارح ومعاهد ، فيجب أن تمد أنقرة نموذجاً روحياً للجامعات الأخرى فى البلاد . وبعد أن يتحقق ذلك لا نحجم عن تشييد مراكز ثقافية أخرى »

الى علماء التاريخ

يقول الأستاذ الباحث صديق شيبوب فى الرسالة الغراء عدد (٣٨٣) أثناء تحليله للعالم النفسانى الكبير سيجموند فرويد ما نصه : « كان موسى من رجال حاشية الملك أخناتون الذى كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين

ويقول الأستاذ طه الساكت فى مقال ترتيب الأنبياء بمجلة الإسلام عدد (٣٩) أول نوفمبر سنة ١٩٤٠ : « كليم الله موسى عليه السلام ... بعثه الله تعالى رسولاً إلى فرعون وقومه ومنقذاً لبنى إسرائيل من الذل والاستعباد . وكان فرعون موسى — وهو رمسيس الثانى على ما رجحه بعض الباحثين — يضطهد الإسرائيليين ويذبح أبناءهم » . وقص علينا أساتذتنا أثناء دراسة التاريخ القديم أن فرعون موسى — هو الملك منفتاح — فهذه ثلاثة آراء متخالفة ، فإلى أى رأى نتجه ؟ وبأى قول نقول ؟

فإلى علماء التاريخ وأساتذته يُوجّه الاستفهام والرجاء . وإنا لتحقيقهم لمنتظرون

محمود محمد بكر شمول

وصية أمين الريحانى

روت المكشوف أن السيد ألبير الريحانى عثر بين أوراق شقيقه فيلسوف الفريكة ، على وصية مكتوبة بخط يده ، تحتوى على عشرين بنداً ، ومؤرخة فى سبتمبر ١٩٣١

وتتناول هذه الوصية شؤوناً فى الأدب والسياسة والدين . ولكنه لا ينتظر فى الوقت الحاضر نشرها . وقد حفظت بين آثاره الكثيرة التى يعمل شقيقه ألبير على جمعها ومراجعتها وترتيبها بحسب تواريخها وموضوعاتها

ومما تجدر الإشارة إليه أن أمين الريحانى كان يحتفظ بنسخة من كل رسالة يبعث بها إلى صديق ، ومن كل بحث يرسله إلى صحيفة ، كما أنه كان يحتفظ بكل صحيفة له فيها مقالة .

— كانت فرقة من الجيش البلجيكي تعسكر في غابة القرية حينما هاجمتها الطائرات وأشعلت فيها ناراً امتد لهيبها إلى عنان السماء ، فبدت القرية على وجهها هدفاً ممتازاً دكته الطائرات ...

وضرب الفتى في الطريق إلى بروكسل تنوء بحمله ساقاه وتخذله قوته ، فيسقط في الطريق

* * *

— أماه ... أنظري ! إنه ضابط من فرق القناصة يحتضر

— ماء يا فلورندا من النبع القريب

ويفيق الفتى ليرى رأسه على حجر امرأة فيشكرها ، وتعاونه الأم وابنتها على المسير إلى كوخهما القريب

— تفضل فاجلس على هذه الحشية فلم يعد لنا بيت ولا أثاث

وبدا على وجه الفتى آيات من الألم المنهض والحزن العميق . ولما قدمت له فلورندا شيئاً من الحساء ، أحس بالدفء والراحة واستطاع أن يتكلم ...

وانتشرت نفس الأم عليه رقة ورحمة ، وأحبته الفتاة في صمت . ولم يأبه بذلك الفتى ، ولم يجد له فراغاً بقلبه المعذب المفؤود

وجمعتهم نكبتهم المشتركة في قريتهم وأعزائهم فكان جل حديثهم يدور حول دمار بلادهم . وتعصب معرفة من كان منهم أشد سخطاً على الألمان ، ولكن الفتى كان أكثرهم جنوحاً للصمت والتفكير العميق

... ويوماً قال ألبير :

— ليست فلاحة الأرض صناعة ضباط القناصة ولا يليق بي وقد رزئ وطني باحتلال النازي أن أكون هنا

— فأين يجب أن تكون يا ألبير ؟

— في العاصمة أو حولها . ليشعر الألمان أننا لم نستكن لحكمهم ، وأن في بلجيكا رجالاً

فأدركت الأم مرماه وقالت : إنك تلقي بنفسك في أوار الجحيم

قال : لأشارك أبي ميتتها وقريتي محنتها

وعبثاً حاولت الأم ثني عزمه ...

أما الفتاة فقد بكت قائلة :

— أرجو أن تبقى هنا إلى جانبي أعوضك من حناني ما فقدته من حنان الأم ... ألا تسمع ... ؟ إنني أرجو ...

— أرجو أن تسكني قلبي عنك في شغل ...

* * *

صادفت دعوة ألبير هوى في نفوس المنكوبين المتأثرين الذين سرحوا من فرقته ، وكان عملهم منظما شأن رجال الجيش ، فبعضهم لنسف الكباري ، والبعض الآخر لقطع الجسور ، وهؤلاء للسطو ليلاً على المخافر الصغيرة ، والاستيلاء على الأسلحة والذخيرة ، وأولئك لاقتناص البارزين من رجال الحملة الألمانية ، وغير ذلك من الأعمال التي سببت للمحتلين شتى المتاعب

وشاع اسم ألبير في وطنه وأكبره مواطنوه ووضع الألمان جائزة لمن يأتي به حياً أو ميتاً

وكانت فلورندا تتلهف شوقاً لأخباره وقلبها الطاهر الغض يذوب إشفاقاً عليه ، وكان جل مناها أن تراه فتتبعه رضي أم كره وتعنى به ، فمن يطبخ له ويوقد له النار ويرتق له الصدار ... كانت غارقة في الحب مسبوهة اللب ، وكأنما كان ألبير يضفي على الحقل بهاء والروح رواء والسماء صفاء ، فلما ذهب أضحى الكون موحشاً كئيباً والجو خانقاً والشمس مصفرة حزينة كأنما تشاركها الألم وتقاسمها الشجون

وتأسى الأم لذهول ابنتها وإغراقها في حب رجل أهدر دمه ... ولن يعود ، فتقول :

— وهبك ملأت الأرض أنيناً ، أفتظنينه يسمعك يا فلورندا

وتحطمها كلمات الأم فهو حقاً رجل هالك كان في حياتها كل شيء فلما ذهب خسرت كل شيء ولكنها لا تطرف ولا تجيب وتلوي عنانها إلى الحقل تطوف بمجالسه ، وتلثم آثاره ، حتى إذا ما ألقى الليل غواشيه قفلت عائدة وفي صدرها سعير من الوجد يذيب الحشا ويرمض الجوانح

ولم يذكرها ألبير فقد ملكت عليه ثورته لوطنه كل جارحة فيه ، وكان ينفث من حميته الهائلة وفكره الجبار ناراً تدفع بزملائه إلى أهول الأخطار . فإذا انكفأت إليه ذكرياته وألح عليه ماضيه بدت له فلورندا شبحاً باهتاً يظهر ويختفي كلما سلب من حياته الجديدة ساعة فراغ

ونجحت قيادة جيش الاحتلال من فعاله فشددوا الرقابة وبثوا في مظان وجوده العيون

* * *

ويوماً شاع في العاصمة أن قطاراً قادماً يحمل زائراً عظيما فسرى بين الناس أن هتلر هو راكب القطار

وكيفما كان الراكب فقد عزم ألبير على أن يفجع الألمان فيه . وكان بارع التدبير حار الحماسة لتدمير القطار

ووقف على شاطئ خياله ليرى هتلر تبعثره الألغام وإذا الدنيا كلها بين يديه تسأله أى جزاء يختار ... حقاً ... ماذا يختار ؟

قال لنفسه : « أأكون ملكا ... ولم لا . وأنا منقذ العالم من الدمار ؟ »

ودخل من خياله إلى قصره الملكى الموشى باليانع من الزهور الملفوف بالباسق من الأشجار تشدو عليها الطيور ، فإذا الفرش ممرد منيف والفراش وثير ، وإذا المائدة تزخر بألوان من أشهى الأشربة وأطيب الآكال فيأكل ويروى ويسلم جسده لأريكة من فاخر الرياش

ويطير بأحلامه صفير القطار ... إن نوره القاتم يشق غياهب الظلام وهو يقبل مسرعاً إلى حتفه المحتوم - فتهيأ ألبير للعمل المعظم ... قال : القطار الآن فوق المنطقة الملغومة . فلأشعل الفتيل

وى ... إن الألغام لا تنفجر ... أترى رفيها خائن أم أخطأ فى تركيبها زملائى الفاليك

وسمر ألبير فى مكانه ليرى بغتة صرح آماله ينهار بينما يجرى القطار على قضبانه متطامناً سلس القياد

وأخذت تنتاب رأسه فورات من اليأس والحزن العميق . فجلس على أنقاض حلمه وقد كست عينيه غشاوة حجبت عن ناظره المرئيات . وسمع قهقهة عالية فريع قلبه ونظر فإذا جنود تحيط به كأنما قد تثاءبت عنهم الأرض

— لقد أجهدتنا كثيراً يا ألبير

قالها قائد القوة فى تهكم وتشف

وأسقط فى يد ألبير ولكن روحه أفرخ حينما ذكر أنه أدى لوطنه رسالته وإن كانت لم تتم ، وكان رافع الرأس شامخ الأنف وهو يمشى بينهم إلى حيث لا يعود

* * *

وطلعت الصحف بنبأ القبض على الثائر ألبير وقرار إعدامه فى ساحة عامة ليكون عبرة لمواطنيه

وزلزلت فلورندا ومادت برأسها الدنيا واحلولكت مرائيها

وضربت فى الطريق إلى بروكسل تتقصص أثره وتتسقط خبره ، بينما يصهرها الأسى ويفرى أحشاءها العذاب ، وشاطرتها الطبيعة الألم ، فاربد وجه الجو وهطل المطر غزيراً كأنما فتحت ميازيب السماء

وكنت ترى فى شوارع بروكسل فتاة ذاهبة العقل تمشى الهوينى مرتبكة الأوصال والناس يقتحمونها بأنظارهم مشفقين

ولم يجد قائد حامية بروكسل فى مظهر الفتاة القروية ريبة فسمح لها بوداع (شقيقها) ألبير

ومشت فلورندا فى ممرات السجن الرهيب تتلمس سبيلها كالعميان، ونزلت إلى قبو رطب تنفذ أشعة ضئيلة من كوة فيه ، وكان ألبير يقبع هادئاً فى ركن منه ... وتبينته بعد لأى فرمت نفسها على صدره ، وطوقت عنقه وراحت تقبله :

— أواه يا ألبير ... ألا تنبئنى ... أنا الوالهة فلورندا

وأرتج على ألبير ... وشدهته زيارتها الطائرة وفاض صدره بالسعادة التى أقبلت عليه فى غمرة همه ... أى مفاجأة هذه ... أو كانت تضمر له هذا الوجد وهو عنها لاه بالفتك بالألمان ؟ قال :

— ولكن ذلك يحببنى فى الحياة يا فلورندا وقد نفضت يدى منها

وينمس فم الفتاة بالأنين والزفرات ، وتخرج كلماتها كحشرجة المحتضر ؛ وقد بح صوتها فلم يدرك منه ألبير إلا أنها مريضة مدنفة ، وأن نبأ إعدامه دمرها فهى راغبة عن الحياة ... قالت :

— إننى جد ظمأى يا ألبير

ولما قام ليأتى لها بماء أخرجت من ثنية فى ذيل ثوبها ورقة بها مسحوق قاتم الزرقة ، وفى غفلته وضعته فى الكوب

وداعاً يا ألبير . . . وإلى اللقاء . . . فى أطباق السماء .

وبدأت تتسلل روحها وتهمد أنفاسها

وبدت فى غفوتها الأبدية كطائر وسنان ، وكأنما أزال الموت ما رسمه الهم على محياها اللاغب الوهنان ؛ فأشرق وجهها وانتشرت عليه علائم الاطمئنان

وحدق فيها ألبير وحدثته نفسه :

— لقد تجرعت سكرة الموت من هذا الكوب ما فى ذلك ريب ، وفيه بقية تذهب بى إليها وتنقذنى من إصر الألمان ... وصبها فى جوفه !

وانبعث من خلال أوهامه شبح فلورندا يناديه :

— تعال ... تعال إلىّ يا ألبير

فأجابها وهو يلفظ نفسه الأخير :

— هأنذا قادم على أثرك يا فلورندا . . . ألا ترين جسدى يدب فيه الفناء ؟ !

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)